متابعة ملكية الأراضي الزراعية في بلاد الرافدين للمدة (٢٠٠٤-٥٣٩ق.م)

د. أسيل محمد ناجي
كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة بابل

Follow-up of agricultural land ownership in Mesopotamia for the period (2004-539 BC)

Dr. Aseel Mohammed Naji
College of Education for Humanities - University of Babylon
aseelalsultan81@gmail.com

الملخص

كان لإقتصاد بلاد الرافدين أهميةً كبيرةً في إستقرار الإنسان على مر العصور ، وكان للموروث الحضاري الذي استلهمه سكان بلاد الرافدين وساروا على نهجه مع توفر الموارد الطبيعية الأساسية وفي مقدمتها الزراعة التي شكلت ركناً أساسياً في اقتصاد حضارة بلاد الرافدين بل وأهم مقوماته فضلا عن التجارة والصناعة، الأثر الكبير في التركيز على الزراعة وما يؤكد أهميتها كثرة ما خلفه الانسان العراقي القديم من الشواهد الأثرية والنصوص التي تناولت الحياة الاقتصادية بوجه عام ، وشؤون الفلاحين والأراضي بوجه خاص، فضلاً عن توفر العوامل الطبيعية المتمثلة بنهري دجلة والفرات ، و خصوبة التربة والمناخ الملائم ، الامر الذي دفع ملوك بلاد الرافدين الى دعم الزراعة من خلال توفير وسائل الانتاج الزراعي من فلاحين وثروة حيوانية ومحاصيل متنوعة وتوسيع شبكات الري والقنوات المائية ونظراً لسعة تلك الاراضي كان على الملوك تعيين من ينوب عنهم لمتابعة القضايا الزراعية وايجاد الحلول المناسبة لها ، ومن أجل متابعة ملكية الأراضي الزراعية وكيفية استثمارها في بلاد الرافدين كان لا بد لنا من الوقوف على أنواعها في بلاد بابل وبلاد آشور واتبعنا في ذلك المنهج التأريخي في التعرض لقضايا الملكية ، فضلا عن اعتماد بحثنا على مجموعة من المصادر التي غذت البحث بكمية كبيرة من المعلومات حول ذلك وفي مقدمتها: (هاري ساكز : عظمة بابل ، قوة آشور) و (هورست كلنغل : حمورابي البابلي وعصره) ، بالإضافة الى عدد من المصادر الأجنبية ، منها : F.R. Krous , Briefeans der Archive Des Šamaš Hazir

ودعت الحاجة أن يقسم البحث إلى محورين:

المحور الاول : متابعة ملكية الأراضي الزراعية في بلاد بابل

المحور الثاني : متابعة ملكية الأراضي الزراعية في بلاد آشور

الكلمات المفتاحية : متابعة ، ملكية ، الاراضي الزراعية ، بابل ، اشور

Abstract

The Mesopotamian economy was of great importance in the stability of man throughout the ages. The cultural heritage that the people of Mesopotamia drew upon and followed, along with the availability of basic natural resources, foremost among which was agriculture, which constituted a fundamental pillar of the Mesopotamian civilization's economy and even its most important components, in addition to trade and industry, had a great impact in focusing on agriculture. What confirms its importance is the abundance of archaeological evidence and texts left behind by the ancient Iraqi people that dealt with economic life in general, and the affairs of farmers and lands in particular, in addition to the availability of natural factors represented by the Tigris and Euphrates rivers, the fertility of the soil and the suitable climate, which prompted the kings of Mesopotamia to support agriculture by providing means of agricultural production from farmers, livestock and various crops and expanding irrigation networks and water canals. Given the vastness of those lands, the kings had to appoint someone to represent them to follow up on agricultural issues and find appropriate solutions for them. In order to follow up on the ownership of agricultural lands and how to invest them in Mesopotamia, we had to stand on their types in Babylon and Assyria. We followed the historical approach in addressing ownership issues, in addition to our research relying on a group of sources that fed the research with a large amount of information about that, foremost among them: (Harry Sachs: The Greatness of Babylon, the Power of Assyria) and (Horst Klingel: The Babylonian Hammurabi and His Era), in addition to a number of foreign sources, including:) F.R. Krous, Briefeans der Archive Des Šamaš Hazir(and the need for the research called for dividing the research into two axes: The first axis: Following up on the ownership of agricultural lands in Babylon The second axis: Following up on the ownership of agricultural lands in Assyria

Keywords: Follow-up, ownership, agricultural lands, Babylon , Assyria.

المحور الأول: متابعة ملكية الاراضي الزراعية في بلاد بابل

شهد العصر البابلي القديم (٢٠٠٤–١٥٩٥ ق.م) انتقال ملكية الجزء الأكبر من أراضي المعبد إلى القصر الملكي بعد سيطرة الأخير على شؤون الدولة ، ولم يُعد للمعبد ذلك المركز الذي كان يتمتع به في عصر فجر السلالات ولتسهيل ادارة القصر لملكياته الزراعية ، فقد جرى تقسيمها على عدة أنواع هي: الأراضي المقطوعة والمؤجرة والخاصة ، والنوع الأخير يستغل لسد حاجات

القصر ، وزادت مساحة أراضي القصر بأنواعها الثلاثة زيادة كبيرة وسريعة باتساع حدود الدولة ؛ بعد هيمنتها على أراضٍ جديدة حتى أصبحت الدولة المالك الأول والرئيس للأراضي ، وعند الحديث عن الحقول واستئجار الأراضي الزراعية لا سيما العائدة للملك أو الدولة بشكل عام في بلاد بابل ، فالملك يمثل رأس الدولة وهذا يعني ان متابعة أمر الاراضي والحقول تقع على عاتقه ومعالجة المشاكل الناتجة عنها، وهذا ما لمسناه من الرسائل المتبادلة بين الملك حمورابي وموظفيه (سين–ادينام[١]– وشمش– خازر[٢] وغيرهم) ، وإنَّ توزيع الاراضي الملكية (أراضي القصر – Eqil Ehallim) في طول البلاد وعرضها والطرق المؤدية اليها أدى إلى صعوبة وضعها تحت إشراف مباشر من لدن الملك ، ولأنها ذات مردود مادي جعل الدولة تتمتع باقتصاد قوي لاسيما في عهد الملك حمورابي وخلفائه مما تتطلب وضعها تحت المراقبة المستمرة ، اذ اعتمد على فلاحين وموظفين يعملون تحت امرة مشرف كبير يسمى (Wakil qišati) ، الذي يرتبط بالقصر ويأخذ أوامره من وزير حمورابي مباشرةً[٣] ، وكان هؤلاء لا يتحركون قيد أنملة دون الرجوع الى الملك، وفي رسالة وجهها الملك حمورابي إلى سين– أدينام يطلب منه تحصيل خراج السمسم والتمور وتزويد الموظف المسؤول بهذه المهمة بالموظفين الثقاة والأكفاء، ورسالة أخرى الى شمش– خازر نجد فيها تذمر الملك حمورابي واضح من بعض كبار الموظفين في منطقة (يموت– بيل)[٤] الذين لم يؤدوا حصتهم من خراج الحبوب الى مدينة بابل، فيطلب الملك بلهجة جادة لا تخلو من التأنيب والتقريع والوعيد بإنزال أقسى العقوبات اذا لم يسرعوا بتأدية ما عليهم من التزامات[٥].

ونقرأ ما جاء في نص الرسالة الموجهة الى سين – أدينام من قبل الملك حمورابي :

"حالما تطلع على لوحتي هذه (رسالتي) ، أصدر تعليماتك
الى المسؤولين عن المعبد كلهم بما فيهم ورد – شمش بن اريبام ،
راعي بيت الإله شمش والمؤتمر بأمرك بأن يرسلوا قائمة حسابهم إليك
ثم أرسلها بدورك إليَّ في بابل ، ودّعهم يُملوا قائمة الحساب بسرعة ،
وينطلقوا مسافرين ليلاً ونهاراً حتى يصلوا بابل خلال يومين"[٦] .

عمد حمورابي الى تشجيع الزراعة من خلال توزيع مساحات من الاراضي الخصبة التابعة للدولة على مجموعة كبيرة من الموظفين الحكوميين ، مثل الموسيقيين وحكام المدن والكهنة والرعاة والعسكريين وغيرهم ؛ من اجل الاستفادة منها وزراعتها ، وورد في رسالة وجهها الملك حمورابي الى شمش– خازر يقول فيها:

"عندما ترى هذا الرقيم ، سلِّم الى سين – موشتال

مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

بور واحد من الاراضي ، والى إيلي – أدينام بور واحد
من أراضي ، والى إيلي – اشميني بور واحد ، كُتاب
حسابات تاجر أور الثلاثة الى جانب حقول ادامتهُم القديمة"[٧] .

ولم يغفل الملك حمورابي عن الشكاوي والمظالم التي تُرفع اليه جراء تسلُم بعض الحُكام في تسليم الاراضي الزراعية سواء الممنوحة لهم من الملك أو ضمن أملاكهم الخاصة من وصول المياه إليها ، أو قيام بعض المتنفذين بأخذها او استبدالها بأرض أخرى أقل جودة[٨] ، ونفهم ذلك من خلال رسالة وجهها الى موظفيّه (شمش– خازر وسن موشاليم) ، ورد فيها الآتي :

"الى شمش – خازر وسين موشاليم وزملائهَما ،
يقول حمورابي ما يلي: وضع العقيد أواش موبلليت حرساً
في حقل النجار أدين نانا الواقع بين حقل ... ، وقد كتبتُ
الى أواش – موبلليت بلهجةٍ قاسية ، وطلبتُ منه إبعاد الحرس
من حقل أدين – نانا ، وألا يتعرض له بعد الآن . وأطلبُ منكم
أن تُبعدوا الحرس عن أرضِ النجار أدين – نانا فالأرض تخصهُ وحدهُ"[٩] .

لقد أكد هذا النص دور الملك بصفته الرقيب الأعلى في الدولة ومتابعته أحوال الناس وحل مشاكلهم لاسيما المتعلقة بالأراضي الزراعية ووضع اليد على من يتجاوز على الآخر والتعدي على حقوق الآخرين ، وفي نص رسالةٍ تمثل شكوى أخرى رفعها الراعي (ايلي– ايبلسم) الى الملك حمورابي متظلماً إياه لاغتصاب ارضه ، يقول في شكواهُ :

"انتزع إيتل – بي – مردوك مني الارض التي منحني
إياها سيدي (ربما الملك) بموجب صك رسمي قبل أربع سنوات ،
... وليعلم سيدي بأنني رفعتُ أمري الى سين – أدينام
وأحِطتهُ بعلمٍ بالموضوع ، ولكن رُغم ذلك لم يَعِد لي حقلي"[١٠]

وأدت تلك الشكوى الى جعل حمورابي يرد بشكل قاسٍ على موظفيّه سين– ادينام وشمش– خازر مُوبخاً لهما قائلاً :

"إذا كان الأمر كما كتب الراعي فليس هناك ما يُزعج أكثر من هذا الأمر !"[١١]

وبذلك كلف الموظفين بدراسة قضية الراعي المغلوب على أمرهِ والتحقق من صحة دعواه وإعلام حمورابي عن تلك القضية بتقرير مفصل .

ونقلت إحدى رسائل حمورابي أيضاً أن أحد الموسيقيين أجّرَ حقلهُ الى احد المزارعين من مدينة لارسا ولم يدفع الآخر حصة الموسيقي من محصول الشعير ، فأمر حمورابي شمش–خازر بتحصيل حصة الشعير من المستثمر[١٢] ، بهذا الاسلوب تمكن حمورابي من ضمان استمرار استثمار الاراضي الزراعية ، وفي الوقت نفسه عمل على كسب ود ورضا شعبه باسترداد حقوقهم المنتزعة من قبل الأعلى نفوذاً منهم من خلال التوبيخ والعقاب ومتابعة شأن الاراضي الزراعية متابعة حثيثة من خلال تبادله للرسائل بشكل متواصل مع موظفيه للوقوف على اهم المشاكل والقضايا وايجاد الحلول المناسبة لها .

بالإضافة الى ذلك عيّن حمورابي موظفاً خاصاً بمراقبة الحقول الزراعية سواء الممنوحة او غير الممنوحة يطلق عليه (المشكلم MAŠKLM. BI) للاطلاع على ما يجري فيها ، ونقرأ ما جاء في النص الآتي :

"حقل لوكال – إزن ، اور – ازيدا ... سيذهبون

(إلى) لوكال – ني – زُو ، هو موظف المشكلم المسؤول عنهم"[١٣] .

وفي نصٍ آخر نقرأ عن هذا الموظف :

"حقل لوكال – شا ، فلاح لوكال – كا – كَينا، (من) ...

إلى النهر سيذهب ادَاتار هو مراقبهم (موظف المشكلم)"[١٤] .

يتضح من النصيّن المذكوريّن وجود مراقب الحقل (المشكلم) ودوره الفعال في حل المشاكل والأمور المتنازع عليها بين الفلاحين ، وربما يكون ذلك بسبب عدم وجود حد فاصل بين حقلٍ وآخر أو أرضٍ وأخرى ، ونجد أن هذه القضية وجدت لها الحل خلال العصر البابلي الوسيط (العهد الكشي) بوضع أحجار الحدود (البابلية) الكودورو[١٥] وكانت الغاية منها توثيق نقل ملكية الاراضي الممنوحة من قبل الملك الى بعض الاشخاص او من شخص الى آخر[١٦] ، وهذا يعني أن ملكية الارض اصبحت واضحة المعالم من خلال توثيق ذلك في لوحٍ من الحجر مثبت عليه اسم المالك ونوعية ارضه ، ووردت قضية حول ارض ممنوحة من قبل الملك الكشي (ميلي – شيباك الثاني Melišibak) (١١٨٨–١١٧٤ ق.م) اذ تنازع عليها ورثة أحد الاشخاص فما كان من الملك ولإنهاء النزاع الا ان ارسلهم الى الاختبار النهري المقدس ؛ لبيان حجة ادعائهم[١٧]، وفي قضية أخرى فيما يخص قطعة ارض كانت قد منحت الى عرّاف من نوع (بَر أو بارو baru) يدعى (تأكل انا – ايليشو) وبعد موته أعطيت هذه الارض الى أخيه وهو (أور – بيلت – موبلطات – متي) ، ثم بعد مدةٍ من الزمن طالب أخويهما بالأرض ورُفضت الدعوى ؛ كونهما اخوين غير

شرعيين وبعد عدة قضايا رُفعت من قبل هذه العائلة على نفس الارض حتى قدم ابن أور – بيلت – موبلطات – متي المسمى مردوك – كودري – آوصر مطالباً بحقه بالأرض[١٨] ، فأرسل الملك ميلي –شيباك لوحاً بإرسال الأطراف المتنازعة الى الاختبار النهري للحسم في هذه القضية، اذ ورد في النص الآتي :

"مردوك – كودوري – اوصر، أحضر تقريرهُ الى الملك ميلي –شيباك،
ومع انليل – نادن – شومي ، ابن اخو– دارو ... الى الملك ... أعادَ،
والملك ميلي – شيباك بيت تأكل – انا– ايليشو الكاهن ختمَ والى
مردوك– كودوري – أوصر ابن أور– بيلت – موبلطات – متي أعطاها الى الأبد"[١٩]

يتضح لنا من النص ان القضية التي ضمت أطراف متعددة من العائلة الواحدة والمتنازعة حول ارضٍ تعود للكاهن (بارُ) العرّاف الذي أورثها لأخيه أور– بيلت– موبلطات – متي ثم عادت الى ابن الأخير ومُنحت له من قبل الملك بعد تحويل الأطراف المتنازعة الى الاختبار النهري المقدس ، وهو بمثابة الرقابة العليا المتمثلة بالإله المسؤول عن هذا الاختبار ويمثله الملك الذي يطبق العدالة في الارض ، وكان من صلاحيات الملك منح الاراضي لمن يُحب ومن ضمن هؤلاء هي ابنة الملك ميلي– شيباك المسماة (هونوبات–ناناي Hounnoubat – Nanai) التي منحها ضيعةً على حافة ارض البحر[٢٠] ، اذ كانت هذه الارض من ضمن أملاك الملك ميلي – شيباك اذ تولى أمر تصليحها واقامة مشروع ري فيها وثبت هذه المُنحة على كودورو سُمي بـ(كودورو مليتي – شيباك):

"إن صغار الماشية وكبارها والضرائب والسُخرة وتنظيف(تطهير)
الترع والقنوات والعمل في الخزانات وقمع العمال أو (زجهم)
للترع و تجهيز العجلات وأعمال الحرث وقطع وحصد الهشيم
والأعشاب والخراج الملكي مهما يكن ...لقد ختم لوحة إعفاء القرى وسلّمها إياها"[٢١]

وتذكر حجرة حدود عائدة للملك الكشي (مردوك– شابك– زيري Marduk – Šapik – Zeri) (١٠٨٠–١٠٦٨) لمنح قطعة ارض لحارس بوابة القصر[٢٢]، وعلى الرغم من سلطة الملك ومراقبته للأمور والشؤون الزراعية الا انه لا يستطيع مواكبة كل الأعمال فكان الى جانبه مشرفاً عيّنه للإشراف على الأعمال الزراعية ونظام الري التابع للقصر وعُرف هذا المشرف بـ(Kašu) ويليه العُمدة(Kazanu) الموظف الاداري المسؤول عن المدن الكبيرة والقرى الصغيرة أمام (Kašu)[٢٣]، وكان الخزانو يشرف بشكل مباشر على الأعمال الزراعية وتنظيم الري والإشراف

على الرعاة وحظائر الحيوانات[٢٤] ، فهذه الوظائف المهمة كانت تمتلك زمام الأمور في ادارة اقتصاد القصر الكشي .

وفي العصر البابلي الحديث كان يشغل وظيفة تأجير الاراضي وتحديدها وما عليها من الحقوق والواجبات ذات الصلة بالقنوات المائية والاشراف العام على جمع ونقل استخدام وتوزيع نتاج الاراضي وحفظ السجلات والحسابات هو (الشتامو Šatamu)[٢٥] ، والموظف الآخر (راب– بيتي Rab – Biti) ويعد معاوناً للملك ومسؤولاً عن المنتجات الزراعية[٢٦] .

المحور الثاني : متابعة ملكية الأراضي الزراعية في بلاد آشور

عُدّ الإله آشور المالك الفعلي للأرض وكان من واجب الملك الآشوري بصفته الوكيل عنه ادارة ملكياته بالنيابةً عنه ، وملكية الإله هي (ملكية نظرية) ويسعى الملك الى ضمان الاشراف المباشر على جميع الاراضي الزراعية الواقعة تحت اطار سلطته السياسية وبذلك يكون الإله المالك الاسمي فقط[٢٧] ، ومن نصوص العصر الآشوري القديم المتعلقة بشؤون الاراضي الزراعية ما كتبهُ يسمح– أدد (١٧٧٧–١٧٩٩ق.م) الى أبيه الملك الآشوري شمشي– أدد الاول (١٨١٣–١٧٨١ ق.م)[٢٨]، يقول النص :

"الى مولاي ، ما يلي : هكذا تحدث خادمك ، يسمح – أدد
فيما يتعلق بمدينة "توتول"[٢٩] ،
فقد كان "لأوم ما شوم" و"ماشيا" في حضرتك ،
عندما أمرتهم بما يلي :
أعطوا مياه نهر البليخ[٣٠] بكاملها ، الى مدينة "توتول"
حتى تزرع أكبر ، مساحة ... فالأرض في مدينة صردا ، قاحلة وبعيدة
ومن سيستلم الحبوب هناك ؟ ، عوضاً عن صردا، يجب زراعة أراضي "توتول"
هذا ما أمرهم به مولاي ، ولأن يوجد حصاد مديد في منطقة "توتول"
ولكن "أيلوري" قد ذهب الى مدينة زالبخ ، وسَّكر سد مياه البليخ
وطرد الفلاحين الذين وضعتهُم هناك ، فكتبتُ إليه بالموضوع ، فأجابني كما يلي :
هل تعتقد بأنني فعلتُ هذا بدون توجيه من "تشكور لوتيل"؟ ، إن "اشكور لوتيل"
هو الذي أمرني بتسكيّر المياه "هذا ما أجابني به"، هل يوجد قناة مياه يتحكم بها رجلان ؟
فبعد أن سكّروا مياه البليخ ، فماذا يمكن أن تفعل "توتول" بلا مياه ؟
ويعلم مولاي أن زالبخ تتبع منذ زمن بعيد "توتول" ، فلماذا تحتج زالبخ الآن ؟

يجب على مولاي أن يبعث ، بأوامر صارمة الى اشكور لوتيل ، وأن لا تعود وتحتج زاليخ وأن تعطي مياه البليخ بكاملها الى "توتول" كي تزرع جميع أراضي "توتول"[٣١] .

النص عبارة عن رسالة وجهها يسمح – أدد الى أبيه الملك شمشي – أدد الاول يُعلمه فيها عن الصراع والتنافس القائم على مياه نهر البليخ ، اذ نجد في بداية الرسالة ان يسمح – أدد ينعت نفسه بـ(الخادم) وهو دليل على خضوعه لإمرة والده في العاصمة آشور ويمارس صلاحيات مقيدة ويخضع لرقابة مشددة من قبل والده ، فلهذا كان يُطلعه على كل صغيرة وكبيرة في مدينة ماري، ومن الواضح أن مدينتي صردا وزالبخ تقعان في أعالي نهر البليخ هذا ما أوضحهُ النص ، ونشب صراعٌ بين حكام هاتين المدينتين بغلق القنوات المائية التي تنبع من نهر البليخ وهذا يؤدي الى الجفاف واتلاف الاراضي الزراعية ، فكتب يسمح – ادد تفاصيل ذلك طالباً من والده الملك أن يُرسل أوامره الصارمة لكل المتنازعين وتوزيع مياه النهر بالتساوي ؛ من اجل زراعة كل الاراضي، ومن الجدير ذكره ان النص تناول مدينة "توتول" ولا يُعرف بالضبط هل كان يقصد به مدينة "توتول" (هيت)، او "توتول" (تل البيعة) الواقعة الى الشمال الشرقي من مدينة الرقة عند ملتقى نهري البليخ بالفرات[٣٢]، والواضح ان الكلمة والقرار النهائي كان يعود للملك شمشي– أدد الاول ؛ كونه المشرف على ادارة شؤون بلاد ماري التي كانت تابعة لآشور .

ونقرأ في نص رسالة أخرى الا ان هذه المرة موجهة من الملك شمشي – أدد الاول الى ابنه يسمح – أدد ، يقول فيها :

"لقد كتب لي حول أقسام الاراضي الحبوب التي زرعتها في توتول ، قائلاً : لماذا سأذهب ؟ فليُقرر الملك بشأن اراضي الحبوب ، هذا ما كتبهُ لي ، ومن ثم فقد أعطيتُك هذه المدينة ، فلماذا لا تكُف عنِ إرسال القرارات المتعلقة بالموضوع ؟ فان كنت قادراً على ادارة المدينة فأفعل ، واذا لم تستطع ، فهناك الكثير من الناس المؤهلين القادرين على ادارتها ، في النهاية سأعطيها لمن يستطيع ادارتها فان لم تستطع أنت ، فستفقد هذه المدينة "نعم أنت"[٣٣] .

من المعروف ان شخصية يسمح – أدد ضعيفة وتتصف بالتهاون والتخاذل وولعه بالخمر والنساء، هذا ما لمسناه من الرسائل المتبادلة بينه وبين والده وأخيه اشمي – دكان اللذان كثيراً ما وبخاه على تصرفاته الصبيانية، وفي هذا النص دليل على ان الملك يضع ابنه في معادلة صعبة وهي اختيار البقاء في المنصب او تركه لمن هو أكفأ منه، فالشخصية مرتبطة بقوة الملك او الحاكم وعليه تدوم مدة حكمه.

وفي العصر الآشوري الوسيط نجد ان ملكية الملك للأرض لم تكن محددة بحصة القصر، اذ تضم المزرعة الملكية اشخاصاً بينهم : رئيس الرعاة ، (انكيدو Enkidu) ومدير الري (زاريكو Zariku) ، والوكيل على البساتين (آمُل كيري Amul–Kiri)[٣٤] ، وعلى الاغلب كانت البساتين في القسم الشمالي من آشور ، وكما هو الحال في بلاد بابل خلال عصوره المبكرة وفي بلاد آشور خلال عصرها الحديث كان يتم تخصيص الاراضي للموظفين ؛ لخدمتها والحال نفسه في هذا العصر[٣٥] ، وجاء في وثيقة تعود لعهد الملك (آشور اوبالط Ašur – Ubalit) يبيع فيها ارضاً الى شخصٍ معين ، جاء في الوثيقة :

"يُقر الـ(اوكلو) (الملك) ، اشور نيراري (او يبيع ؟) الى شخصٍ معين مزرعة من مائة وخمسة ايكو ، كان جدهُ (اوكلو) آشور ربى قد أعطاها الى شخصٍ آخر فقد أقرَّ الاوكلو آشور – بعل – نشيشو بقطعتين من الارض ، واحدة منها تشمل كل المزرعة الى أحد الموظفين او احد افراد الحاشية الملكية ... وبأمر من الاوكلو(الملك) سيبيع الملك الى شخص معين حددهُ الملك"[٣٦].

وذلك يعني ان القطعة المخصصة من قبل الملك يمكن على هذا الأساس رهنها ، مع احتفاظ الملك بحقوقه لمُلكية الارض بصفته الاوكلو (الملك) وتعني (الموظف الاداري المسؤول عن ادارة الاراضي)، وكان للملك سلطة الاشراف على ارض المجتمع الآشوري فكل المعاملات من بيع وشراء للأراضي يتم قياسها بحبل الملك ، ويُكتب بذلك رقيماً قوياً (وثيقة نهائية) أمام الملك[٣٧] .

وهنا سؤال يطرح ما الغاية من تدخل الملك بالمعاملات بيع وشراء الاراضي والمزارع؟ على ما يبدو ان الملك بصفته رأس السلطة وكحاكم (اوكلو) عليه معالجة كل ما يتعلق بقضايا المُلكية، كونه النائب والوكيل للإله آشور .

و في العصر الآشوري الحديث (٩١١–٦١٢ ق.م) فللملك حق الاشراف على الملكية وضريبة الارض ليس بصفته ملكاً ، وانما بصفته (اوكلو) [٣٨]، وهذا يشير الى انه ممثل للدولة وهذا عكس ما وجدناه في بلاد بابل من ان الملك صاحب السلطة العليا والمالك لكل الاراضي والمانح الاساسي لمن يريد .

إن ادارة الاراضي الزراعية في هذا العصر من أهم الأمور التي كانت في مقدمة اهتمامات الدولة الآشورية ؛ من أجل كسب سكان المناطق المنضوية تحت لواء آشور ، فأقدم ملوك آشور على ابتكار نظام إداري خاص بمتابعة شؤون الاراضي الزراعية للسكان الجدد ، وهي اعفائهم من

دفع الضرائب التي كانت تثقل كاهلهم[٣٩] مع اقتصار ملكيتها على الملك ، وبعض تلك الاراضي كانت تحت ادارته الخاصة بشكل مباشر ، وقد امتلك الموظفون اراضي زراعية وتم ادارتها من قبل وكلاء عنهم ، ومن هؤلاء الموظفين (الترتانو ، الرابشاقي والسوكالو والسارتينو)[٤٠]، وهذه الاراضي كانت عبارة عن مُنحة ملكية أو هدية لهم ، وإلى جانب هذه الامتيازات كانت تعفى من الضرائب المفروضة عليها ، اذ قام الملك آشور– بانيبال (٦٦٩–٦٢٦ق.م) بإعفاء رئيس موظفيه من الضرائب المترتبة على الأرض الممنوحة له من قبل الملك، جاء في النص :

"أنا آشور بانيبال ... الذي يجعل شعبه مرفهاً الذي يجازي بالفضل الموظفين الذين يقفون أمامه ويحسنون خدمته باحترامهم وتنفيذهم أوامره الملكية ، أما بالنسبة الى رئيس موظفي آشور بانيبال ... الرجل الجيد ذو الطباع الجيدة ... الذي وقف أمامها بإخلاص ... اعتبرت وأعلنت إعفاء الحقول والبساتين والناس الذين حصل عليهم تحت حمايتي ... وقد كتبتُ هذا الميثاق بختمي الملكي وسلمتهُ الى بَلتا رئيس الموظفين وسوف لن يُجبى من تلك الحقول والبساتين حبوباً ولا تبناً ... وهم معفون من ضريبة الميناء والمعبد ..."[٤١]

ان من نتائج اختيار الموظفين الأكفاء والذي يعود مردوده الى نجاح العملية السياسية، فاختيار الملك لمن ينوب عنه أمر صعب لاشك فيه ولكن هناك موظفين تُشد بهم الهمم من خلال ما يمتلكونه من خبرة وذكاء وحسنُ تصرف مع كل الاحداث التي قد تواجههم في عملهم مهما كان عملهم صعب فبتلك المقومات يستطيعوا اجتيازها ، وهذا دليل على نجاح العملية الرقابية المتمثلة بشخص الملك الذي يراقب من بعيد عمل موظفيه .

من الجدير ذكره أن هناك مجموعة من القوانين التي صدرت في بلاد الرافدين من أجل معالجة قضايا الملكية وتأجير الأراضي الزراعية ولكثرة ورودها في البحوث والدراسات ارتأينا عدم ذكرها ويمكن للباحث المهتم الرجوع الى كتاب الدكتور (فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة) .

الاستنتاجات

١– تبين مدى حرص ملوك بلاد الرافدين على متابعة أمر قنوات الري ومشاريعها.

٢– كان الملك في بلاد بابل يمنح الأراضي بصفته (ملكاً) ، وفي بلاد آشور فالملك يمنحها بصفته (اوكلو).

٣– متابعة أحوال الفلاحين والنظر في قضاياهم ومعالجة المشاكل التي تعيق الزراعة .

٤– تعيين موظف خاص بمراقبة الحقول الزراعية ومتابعتها والاطلاع على ما يجري فيها .

٥- تعيين موظف خاص بالإشراف على القنوات المائية وتوزيع نتاجات الأراضي فضلا عن حفظ السجلات والحسابات.

٦- استثمار الأراضي الزراعية من قبل ملوك بلاد الرافدين من خلال توزيع الأراضي على الموظفين الحكوميين من أجل الاستفادة منها .

٧- توثيق ملكية الأراضي الزراعية بوضع أحجار الحدود(الكودورو) .

٨- إصدار مجموعة من القوانين الرادعة لاختراق الحقوق والملكيات .

الهوامش

(١) سين-ادينام : تم استحداث وظيفته (الرابيانوم -المحافظ) خلال عهد الملك حمورابي ، واشترك سين-ادينام مع شمش-خازر في إدارة لارسا بعد ضم المدينة من قبل حمورابي . ينظر: سالم يحيى الجبوري ، بعض الوظائف الادارية من العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل، كلية الآداب ، قسم الاثار- ٢٠٠٢)، ص٣٥-٣٦.

(٢) شمش- خازر : شغل وظيفة الكاتب و المراقب في الوقت نفسه، و بلغت الرسائل المعنونة باسمه حدود المائة رسالة ، معظمها تتعلق بالحقول و البساتين، كقياس المساحة و التأجير وغيرها، وكان يتلقى تعليماته مباشرة من حمورابي و مُعرضاً ايضاً إلى تقريعاته و لومه في حالة ثبوت تقصير ما في أداء المهام الموكلة إليه، وإدارة شؤون الأراضي الملكية في المناطق المحيطة بمدينة لارسا . كلنغل، حمورابي البابلي و عصره، ص١٣٧ ؛
G.R Driver., Letters The First Babylonian Dynasty, (OBCT), vol.3,(1924), No.8,p.3, F.R. Kraus, Briefe ansder Archive des šamš- Hzir, Alt Babylonischs Briff in umschrift and ubersetzung . (Leiden-1968) vol.4, p.3-13، وللمزيد ينظر : أسيل محمد ناجي حمود ، الرقابة في بلاد الرافدين (٢٠٠٤-٥٣٩ق.م) دراسة تأريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،(جامعة بغداد ، كلية الآداب- قسم التأريخ،٢٠٢٤م) ، ص٧٦.

(3) G.R. Driver , and Miles , The Babylonin, (Oxford – 1955), Vol.11 ,No. 33, P.11; هورست كلنغل ، حمورابي البابلي وعصره ، ترجمة :محمد وحيد خياطة ، ط١، (دمشق ، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر-١٩٩٠) ، ص١٤٨-١٤٩ ؛ دياكونوف وآخرون ، اقتصاد الدولة في سومر القديمة ، بحث ضمن كتاب (العراق القديم) ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي ، (ط٢، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ١٩٨٦) .، ص٣٠٢ . عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، (الموصل – ١٩٩٢).، ص٢٢٦.

(٤) يموت – بيل : وهو اقليم متاخم لبلاد عيلام ما بين دجلة والمرتفعات التي يمر منها نهر ديالى . وحاكم هذا الاقليم (كودور-مابك) فالاسم العيلامي لهذا الحاكم يشير الى ان مملكته كانت تحت النفوذ العيلامي ، ومن القابه (ابو الاموريين) ، واستولى على مدينة لارسا وعين عليها ابنه (ورد- سين Ward- sin)

(١٨٣٤-١٨٢٣ق.م)، و (ريم- ســـينRim - sin) (١٨٢٢-١٧٦٣ق.م)وظـل هو يحكم اقليمـه. طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١ ، ص٤٥١ .

(٥) كلنغل ، حمورابي البابلي وعصره ، ص١٥٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص١٥١.

(7) L.W. King , The Letters and Inscriptions of Hammurabi , (London – 1900) , Vol.1, P.50 .

(8) F.R. Krous , Briefeans der Archive Des Šamaš Hazir , (ABB) , (London – 1968) , Vol. 4 , No. 42 , P.31 ;

وينظر : جاسـم شـهد وهد ، الزراعة خلال العصـر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م) ، مجلة القادسـية للعلوم الانسانية ، المجلد (١١) ، العدد (٣) ، السنة (٢٠٠٨)، ص٣٦ .

(٩) كلنغل ، حمورابي البابلي وعصره ، ص١٤٠ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص١٤٢ .

(١١) المصدر نفسه ، ص١٤٢ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص١٤٣ .

(13)Frymer S.T , The Judicial Ordeal In The Ancient Near East, (PhD Yale- 1979).

, P.70 .

(14) Ibid, P.72 .

(١٥) **أحجار الحدود** : عبارة عن أشكال مخروطية غير منتظمة قد تكون من الحجر او الطين المفخور ، والحجرة الواحدة منها غالباً ما تقسم الى قسمين : الأول (الأعلى) لرموز الآلهة ، أما القسم الثاني (الأسفل) فيحتوي على النص الكتابي المدون بالخط المسماري . للمزيد ينظر : فرج بصمة جي ، كنوز المتحف العراقي،(دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد-١٩٧٣)، ص٢٤٣ ؛ خالد حيدر عثمان العبيدي ، أحجار الحدود البابلية كدورو (Kudurru) دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل – ٢٠٠١) ، ص٢٣ .

(16) A. Parrot , :udurru Archaqque Pravenent De. Senkrek , (Berlin – 1939) , P.319 .

(١٧) العبيدي ، احجار الحدود البابلية ... ، ص٨٥-٨٦ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص٨٥-٨٦ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص١٠٠ .

(٢٠) **ارض البحر** : سـميت بهذا الاسـم ؛ لمجاورتها مناطق الخليج العربي والأهوار الجنوبية ، وقامت في هذه الارض سلالة عُرفت بـــ(سُلالة القطر البحري) ومؤسسها (إيلوما- إيلو) على أثر ثورة تزعمها واستقل بتلك المناطق، وقُضـي على آخر ملوك هذه السـلالة المدعو (أيا- كامل) على يد الملك الكشـي (اولام بورياش) . باقر ، مقدمة ... ، ج١ ، ص٤٩٧ .

(٢١) رمضان عبدة علي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور حتى مجيء الاسكندر (ايران – العراق) ، ط١ ، (دار النهضة للنشر ، القاهرة) ، ج١ ، ص٢٤١ ؛ وينظر : حمود ، نساء الملوك في العراق القديم ... ، ص٢١٠ .

(٢٢) مها حسن رشيد الزبيدي ، الحياة الاقتصادية في العصر البابلي الوسيط (الفترة الكشية) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب– ٢٠١٠) ، ص٦٣ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص٦٥ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص٦٦ .

(٢٥) هاري ساكز ، عظمة بابل ، تر : عامر سليمان ، (جامعة الموصل – ١٩٧٩)، ص٣٠٢ .

(26) J. Michael , Imperium and of Ficium Working Papers (10 WP) , The State and its subjects under the Neo – Babylonion empire , (Vienna – 2014) , Vol. 19 , P.10 .

(٢٧) دياكونوف ، الاوضاع الزراعية في العصر الآشوري الوسيط ، العراق القديم ، تر. سليم طه التكريتي ، ط٢، (بغداد – ١٩٨٦) ، ص٣٣٠ .

(٢٨) هاري ساكز ، قوة آشور ، ترجمة: عامر سليمان ، (بغداد–١٩٩٩) ، ص٤٥ . وللمزيد عن الملك شمشي–ادد الاول ينظر : Lewy.M, Assyria,C,2006–1816 B.C.CAH, Vol.1,p.310.

(٢٩) **توتول** : وردت في النصوص المسمارية بهذه الصيغة (توتول Tu–tu–il) و(دودول du–du–il) ، وعند الكُتاب الكلاسيكيين بصيغة (اس – اد – و) (أيوبوليس وإدكارا) وتعني جميع هذه الاسماء (القير) ، وتعرف حديثاً بـــ(هيت) ، تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات وعُرفت هذه المدينة بمكانتها الدينية ؛ لكونها تمثل مركز الإله (دجان) ، ومركز تجاري ومصدراً لمادة (القير) . للمزيد ينظر : محمد طه الاعظمي ، مدينة هيت في المصادر المسمارية ، هيت في التراث العربي ، (منشورات مركز احياء التراث العربي ، بغداد – ٢٠٠١) ، ص١٠٧–١١٧ ؛ هيرودوتس ، تاريخ هيرودوتس ، تر. عبد الإله الملاح ، ط١ ، (المجمع الثقافي ، ابو ظبي – ٢٠٠١) ، ص١١٤ .

(٣٠) **نهر البليخ** : ورد في النصوص المسمارية بصيغة (BL–ih–u) او (باليخ Ba–Li–h) ، ويمثل أحد اهم الروافد التي تصب في نهر الفرات ، ويروي اثناء جريانه العديد من المناطق ويبلغ الطول الاجمالي لهذا النهر (٢٠٢ كم) منها (١١٦ كم) في الاراضي السورية .

سامي سعيد الأحمد ، العراق في كتابات اليونان والرومان ، مجلة سومر ، المجلد ٢٦ ، ج١–ج٢ ، (بغداد – ١٩٧٠) ، ص١١٧ ؛ محمد دلف احمد الدليمي وفواز احمد الموسى ، وادي الفرات (في سورية والعراق) الطبيعة والسكان ، ط١ ، (دار الفرقان للغات ، حلب – ٢٠٠٩) ، ص١٤ .

(٣١) فيصل عبد الله ، أيبلا وماري أقدم مثال على نمط زراعي متقدم ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٤٣–٤٤ ، (دمشق – ١٩٩٢) ، ص٢٤–٢٥ .

(٣٢) تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا ، الانسان وتجليات الازمنة (تاريخ وحضارة بلاد الرافدين والجزيرة السورية) ، ط١ ، (دار الطليعة الجديد ، دمشق – ٢٠٠١) ، ص٢٣٤–٢٣٦ .

(٣٣) فيصل عبد الله ، أيبلا وماري أقدم مثال على نمط زراعي متقدم ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان –٤٤ ، (دمشق – ١٩٩٢) ، ص٢٧ .

(٣٤) دياكونوف ، الاوضاع الزراعية في العصر الآشوري الوسيط ، ص٣٣١ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٣٣٢–٣٣٣ .

(٣٦) دياكونوف ، الاوضاع الزراعية في العصر الآشوري الوسيط ، ص٣٣٣ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص٣٣٤ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص٣٣٥ .

(٣٩) لمياء سعد عكار ، الوظائف الادارية والسياسية في العصر الآشوري الحديث (٩١١–٩١٢ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب – ٢٠٢١) ، ص٧٣–٧٤ .

(٣٧) ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٩٨.

المصادر العربية

١– أسيل محمد ناجي حمود ، نساء الملوك في العراق القديم (٢٨٠٠-٥٣٩ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة البصرة-٢٠١٨) .

٢- أسيل محمد ناجي حمود ، الرقابة في بلاد الرافدين (٢٠٠٤-٥٣٩ق.م) دراسة تأريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،(جامعة بغداد ، كلية الآداب- قسم التأريخ،٢٠٢٤م)

٣– تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا ، الانسان وتجليات الازمنة (تاريخ وحضارة بلاد الرافدين والجزيرة السورية) ، ط١ ، (دار الطليعة الجديد ، دمشق – ٢٠٠١).

٤– جاسم شهد وهد ، الزراعة خلال العصر البابلي القديم (٢٠٠٤–١٥٩٥ ق.م) ، مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، المجلد (١١) ، العدد (٣) ، السنة (٢٠٠٨).

٥– خالد حيدر عثمان العبيدي ، أحجار الحدود البابلية كدورو (Kudurru) دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل – ٢٠٠١).

٦– دياكونوف ، الاوضاع الزراعية في العصر الآشوري الوسيط ، العراق القديم ، تر. سليم طه التكريتي ، ط٢، (بغداد – ١٩٨٦).

٧– دياكونوف وآخرون ، اقتصاد الدولة في سومر القديمة ، بحث ضمن كتاب (العراق القديم) ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي ، (ط٢، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ١٩٨٦).

٨– رمضان عبدة علي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور حتى مجيء الاسكندر (ايران – العراق) ، ط١ ، (دار النهضة للنشر ، القاهرة) ، ج١.

٩– سامي سعيد الأحمد ، العراق في كتابات اليونان والرومان ، مجلة سومر ، المجلد ٢٦ ، ج١-ج٢ ، (بغداد – ١٩٧٠).

١٠–عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، (الموصل – ١٩٩٢).

١١–سالم يحيى الجبوري ، بعض الوظائف الادارية من العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة الموصل، كلية الآداب ، قسم الاثار–٢٠٠٢).

١٢–فرج بصمة جي ، كنوز المتحف العراقي،(دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد–١٩٧٣).

١٣–فيصل عبد الله ، أيبلا وماري أقدم مثال على نمط زراعي متقدم ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٤٣-٤٤ ، (دمشق – ١٩٩٢) .

١٤–لمياء سعد عكار ، الوظائف الادارية والسياسية في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٩١٢ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب – ٢٠٢١).

١٥–محمد دلف احمد الدليمي وفواز احمد الموسى ، وادي الفرات (في سورية والعراق) الطبيعة والسكان ، ط١ ، (دار الفرقان للغات ، حلب – ٢٠٠٩).

١٦–محمد طه الاعظمي ، مدينة هيت في المصادر المسمارية ، هيت في التراث العربي ، (منشورات مركز احياء التراث العربي ، بغداد – ٢٠٠١) .

١٧–مها حسن رشيد الزبيدي ، الحياة الاقتصادية في العصر البابلي الوسيط (الفترة الكشية) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب– ٢٠١٠).

١٨–هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، (جامعة الموصل – ١٩٧٩).

١٩–..... ، قوة آشور ، ترجمة: عامر سليمان ، (بغداد-١٩٩٩).

٢٠–هورست كلنغل ، حمورابي البابلي وعصره ، ترجمة :محمد وحيد خياطة ، ط١، (دمشق ، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر-١٩٩٠).

٢١–هيرودوتس ، تاريخ هيرودوتس ، تر. عبد الإله الملاح ، ط١ ، (المجمع الثقافي ، ابو ظبي – ٢٠٠١) .

المصادر الاجنبية

22- A. Parrot , :udurru Archaqque Pravenent De. Senkrek , (Berlin – 1939).

23- F.R. Krous , Briefeans der Archive Des Šamaš Hazir , (ABB) (London – 1968) , Vol. 4..

24- Frymer S.T , The Judicial Ordeal In The Ancient Near East, (PhD Yale- 1979).

25- G.R. Driver , and Miles , The Babylonin, (Oxford – 1955).

26- J. Michael , Imperium and of Ficium Working Papers (10 WP) , The State and its subjects under the Neo – Babylonion empire , (Vienna – 2014).

27-L.W. King , The Letters and Inscriptions of Hammurabi , (London – 1900) , Vol.1.

28 G.R Driver., Letters The First Babylonian Dynasty, (OBCT), vol.3,(1924), No.8,p.3, F.R. Kraus, Briefe ansder Archive des šamš- Hzir, Alt Babylonischs Briff in umschrift and ubersetzung vol.4, (Leiden-1968)